المحاضرة الخامسة: دراسة نقدية لوثيقة أرشيفية

يعتبر الأرشيف ذو أهمية كبيرة في حياة الأفراد والدول، ومصدرا أساسيا لبناء المعرفة الموصلة للحقيقة التاريخية باعتباره يشكل قيمة إثباتية، يمكن الاعتماد عليه لإنشاء البحوث التاريخية، فمنه ندرس الأحوال التي كانت سائدة، ومنه نتعرف على العادات والتقاليد والعقليات والمظاهر اليومية، فالأرشيف يشكل مادة خام يستند إليها الباحثون بمختلف تخصصاتهم لتكوين فكرة عن الزمن الماضي.

1-تعريف الوثيقة الأرشيفية:

الأرشيف كلمة مشتقة من للاتينية أرخيون أو أرشيون وتعني السلطة أو المكان الذي يجلس فيه القاضي، وقد توسعت الكلمة لتنتقل إلى مختلف لغات العالم، ومنها العربية فيقال أرشيف، أما اصطلاحا، فيعرف الأرشيف على أنه مجموع الوثائق الصادرة عن جهة ما والتي انتهى العمل منها، مهما كان تاريخها وشكلها ودعامتها المادية المنتجة والمستلمة من شخص مادي أو معنوي أو من هيئة عمومية أو خاصة، نتيجة النشاط الذي مارسوه وتنظم وفق هذا النشاط وتحفظ بطرق خاصة للرجوع إليها عند الحاجة[1].

أما الإيطالي يوقينو فيعرفه على أنه التجمع المنتظم للوثائق الناتجة عن فعاليات الدوائر أو المؤسسات أو الأشخاص والتي تقرر حفظها لأهميتها السياسية أو الشرعية لتلك الدوائر أو ذلك الشخص[2].

ويعرفه القانون الجزائري 09/88 المؤرخ في 7 جمادى الثانية 1408 الموافق ل 26 جانفي 1988 والمتعلق بالأرشيف الوطني في المادة الثانية منه: " يتكون الأرشيف بمقتضى هذا القانون من مجموعة من الوثائق المنتجة أو المستلمة من الحزب والدولة والجماعات المحلية والأشخاص الطبيعيين والمعنويين سواء كانت محفوظة من مالكها أو حائزها وانتقلت إلى مؤسسة الأرشيف المختصة وذلك قصد العودة إليها والاستفادة منها عند الحاجة"

أما الوثيقة الأرشيفية: هي كل وثيقة تاريخية تحمل معلومات تاريخية دون أن ينحصر ذلك فيما دون منها على الورق، ولكن المعنى الدقيق الذي اصطلح عليه الباحثون في التاريخ هي الكتابات الرسمية أو الشبه الرسمية مثل الأوامر والقرارات والمعاهدات والاتفاقيات والمراسلات السياسية والكتابات التي تتناول الاقتصاد والتجارة وعادات الشعوب ونظمها وتقاليدها والمذكرات الشخصية واليوميات[3]، ويعرفها

---

[1]- للاطلاع على مختلف التعريفات التي تطرقت إلى الأرشيف، وكذا تطوره التاريخي والانتقال به من حضارة إلى حضارة، ينظر: بودويرة الطاهر: تثمين رأس المال البشري في ميدان الأرشيف بين التكوين وممارسة المهنة، دراسة ميدانية بمراكز الأرشيف الولائية بالشرق الجزائري (قسنطينة، سطيف، باتنة)، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم المكتبات، تخصص نظم المعلومات، قسم علم المكتبات، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009/2008.

[2]- جمال الخولي: الوثائق الإدارية بين النظرية والتطبيق، الدر المصرية للبنانية، القاهرة، 1993، ص 99.

[3]- قاسم يزبك: التاريخ ومنهج البحث التاريخي، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت، لبنان، 1990، ص 55.

شلنبرج: " أنها سجلات أية مؤسسة عامة أو خاصة اعتبرت جديرة بالحفظ الدائم بغرض الرجوع إليها لأغراض البحث، وأودعت أو اختيرت لتودع في مؤسسة أرشيفية" [1].

وجاء تعريفها في القانون السالف الذكر على أنها كل وثيقة تتضمن أخبارا مهما كان تاريخها أو شكلها أو سندها المادي التي أنتجها أو سلمها أي شخص طبيعي كان أو معنوي أو أي مصلحة أو هيئة عمومية كانت أو خاصة أثناء ممارستها لنشاطها.

2-أهمية الوثيقة الأرشيفية: تعد الوثائق الأرشيفية مصدرا من مصادر الثقافة، التي تعكس صورة الماضي واخباره في البحث التاريخي يعتمد عليها المؤرخون لأنها ذاكرة الأمة وعلامة وجودها، كما أنها تقوم بدور أساسي في كشف الحقائق والوقائع التاريخية العامة في حياة الدول والشعوب وتعتبر العمود الفقري والمؤرخ والباحث التي لا يمكن الاستغناء عنها في كتابة التاريخ[2].

ويمكن إبراز أهميتها في النقاط التالية:

- تعد الوثائق التاريخية من أرقى المصادر والكتابات التاريخية.

- الوثائق الأرشيفية تمثل تاريخ الأمة والشاهد الأكبر عليه.

-بدون الوثائق الأرشيفية المختلفة لا يمكن كتابة التاريخ، وأي تاريخ يكتب خارجها يكون ناقصا ولا يساعدنا في بلوغ الحقيقة التاريخية.

- تعد الأصول النزيهة التي يجد الباحثون بينها الحقائق والمعلومات والشواهد التي تسد الثغرات وتستكمل الحلقات المفقودة.

وتكتسي الوثائق الأرشيفية هذه الأهمية انطلاقا من خصائصها التالية:

-عدم التحير: بحيث يتم تحريرها بكل موضوعية من قبل الجهة الرسمية التي انتجتها لأنها جزء من نشاطها الرسمي الذي لا يمكن أن يكون فيه أي التباس أو مغالطات.

- المصداقية: تشتمل على معلومات صحيحة خالية من الشك بسبب أنها خضعت للوصاية القانونية من قبل الجهة التي أنتجتها أومن ينوب عنها شرعا.

-الطبيعية: تتكون الوثائق بصفة طبيعية من خلال مزاولة النشاط الرسمي واليومي الجهة التي أنشأتها.

[1]- أشرف عبد المحسن الشريف، الإدارة الحديثة للوثائق التاريخية، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2011، ص 29.
[2]- عبد المجيد محمد الحويج، الوثائق الأرشيفية وأهميتها في البحث العلمي، مجلة كلية الآداب، ع 30، 2020، ص 222.

- **العلاقات المتبادلة:** إذ ترتبط الوثيقة بعلاقات وطيدة مع بقية الوثائق الأخرى سواء داخل المجموعات الأرشيفية أو خارجها، لذلك لا يمكن فهم الوثيقة الأرشيفية بمعزل عن الوثائق التي ترتبط بها[1]

استنطاق الوثائق الأرشيفية: تتم عملية دراسة الوثائق الارشيفية باتباع خطوات النقد التاريخي (الظاهري والداخلي الموضح في المحاضرة رقم03)

3-قراءة الخط المغربي: يجد الباحث في تاريخ الجزائر نفسه أمام إشكالية صعبة تعيقه من الاستفادة من محتوى الوثيقة الأرشيفية، فإذا كانت بعض الوثائق سهلة القراءة باعتبارها كتبت بخط واضح بالآلات الراقنة والمطبعية، أو باللغة الأجنبية التي يمكن ترجمتها، إلا أن الكثير من هذه الوثائق مكتوبة بالخط المغربي الصعب القراءة نظرا لخصوصيته.

3-1- التعريف الخط المغربي: يشمل الخط المغربي بصفة عامة مجموع خطوط بلاد المغرب والأندلس، وليس المقصود بالمغربي أنه مرتبط بالمغرب الأقصى، ويشير **الخط المغربي** إلى مجموعة الخطوط العربية المترابطة التي تطورت في بلاد المغرب(شمال إفريقيا والأندلس) شبه الجزيرة الإيبيربية (وغرب بلاد السودان) منطقة الساحل ينحدر الخط المغربي من الخط الكوفي، ويكتب بقلم سميك، ليبدو الخط في غاية الاتزان، ويستعمل في أعمال النساخة والتدوين والزخرف، .وقد اشتق الخط المغربي من الخط الكوفي القديم، وأقدم ما وجد مكتوبا بهذا الخط فيرجع إلى عام 912م، وكان يسمى الخط القيرواني، ثم لما ازدهرت الأندلس ظهر ما يسمى بالخط الأندلسي أو القرطبي خلال العصر الموحدي، ومن بين الخطوط المنبثقة من الخط المغربي نجد الخط السوداني[2]

أما سيمات وخصائص الخط المغربي الفنية؛ فقد حصرها لنا عبد الحق معزوز في الأمور التالية[3]:

- سطور الحروف القائمة كالألف واللام والطاء والظاء والكاف تكون في الغالب منحنية تعلوها نقطة غليظة؛ ولا تكون مستقيمة إلا نادرا.

- تتميز قفلات بعض الحروف مثل(ط-ظ-ص-ض) بشكل إهليلجي، مع اختفاء السنينة العمودية التي تنهي حرفي الصاد والضاد أول ووسط الكلمة.

-تمدّ أواخر الحروف مدا مبالغا فيه خاصة الحروف:(س-ش-ص-ع...)، ويسقط من بعض الحروف النهائية نقط الإعجام ومنها:(ق-ف-ي)، وتكتب حرف التاء النهائية المفردة بدون نقطة.

---

[1]- عبد المجيد محو الحويج، المرجع السابق، ص 222.
[2]- كرزيكة علي، المظاهر الفنية في المخطوطات التواتية الخط المغربي نموذجا، مجلة آفاق عليمة، م 11، ع 4،2019، ص 425.
3- عبد الحق معزوز، خطوط الكتابات العربية في الجزائر، المجلة المغاربية للمخطوطات، العدد3 ، 2013، ص124-125.

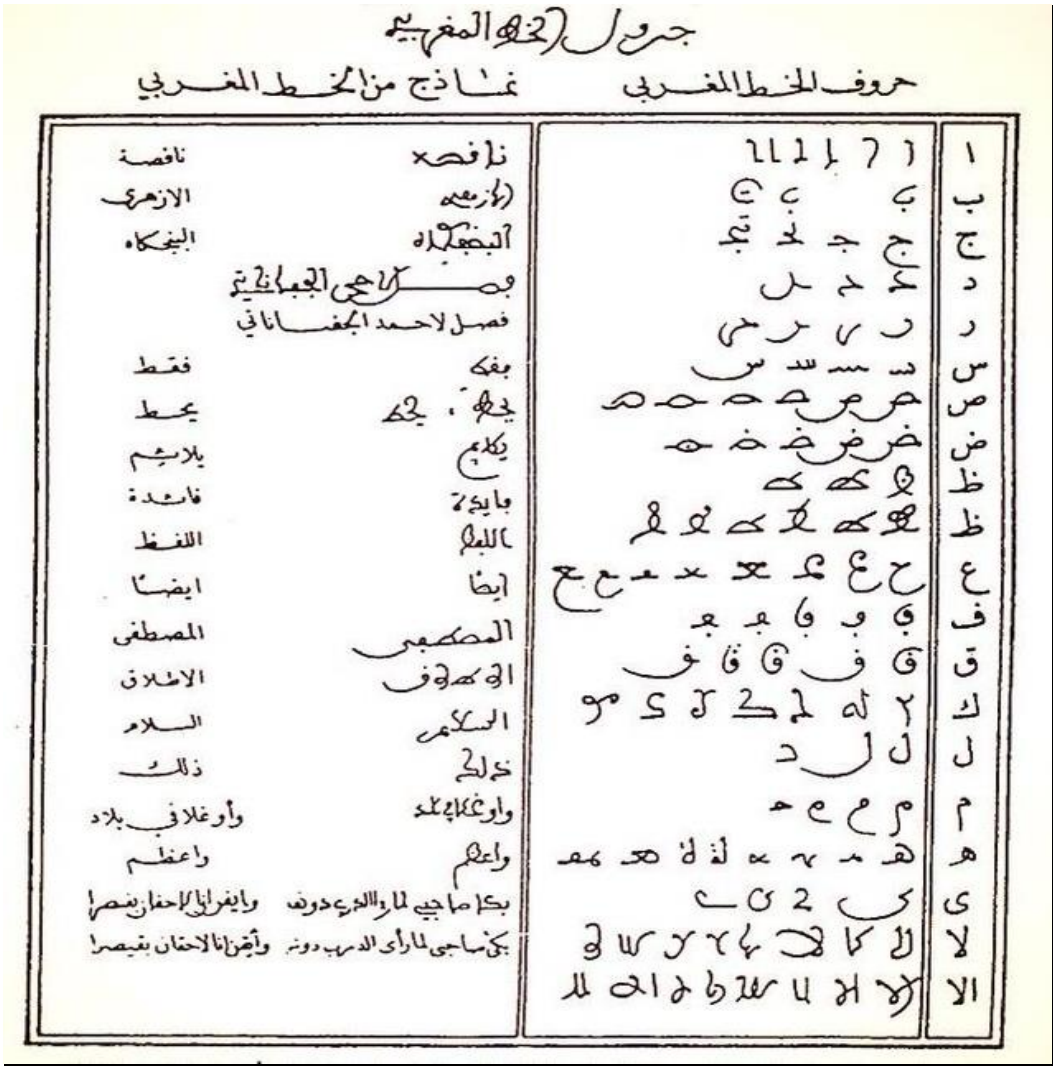

طريقة كتابة الخروف بالخط المغربي

2-3 أنواعه[1]:

نوع الخط	خصائصه
الخط القيرواني	يتميز ب: -غلظ السطر؛ فتبدو حروفه أصغر واقرب إلى بعضها. -حروفه أقرب لليبس منها إلى الرطوبة والليونة. - خلوه من النقاط شأنه شأن الخط الكوفي اليابس.
الخط الأندلسي أو القرطبي	-عرف بالقرطبي إلى جانب الأندلسي نسبة غلى قرطبة حاضرة الأندلس. - يشيع فيه استدارات حروفه وإطالة أواخرها. -تجمع حروفه بشكل مكثف مع احتفاظها بكل النقاط.
الخط الفاسي	-يتميز بالأناقة وطول الأسطر العمودية–التباعد بين الحروف ذات الامتداد والتناسق-تمتاز بعض حروفه بالاستدارة واتحاد وتناغم حجم الأسطر؛ مما يزيدها بهاء وتناسقا وجمالا.
الخط الجزائري	-ذو زوايا وحروف حادة – صعوبة قراءته في الغالب. -تتجلى فيه تأثيرات المدرسة القيراونية، والأندلسية والفاسية. -جزائري أصيل في منشأ ومنبت للعديد من الأساليب الفنية والصناعية مثل الشواهد الموشورية والمقرنصات والأقواس وغيرها من الابتكارات
الخط السوداني	-عرف كذلك نسبة إلى السودان الغربي كما ينسب إلى مدينة تمبوكتو عندما أصبحت عاصمة مملكة سانغاي؛ فسمي بالخط التمبوكتي. -حروفه غليظة وذات زوايا حادة كبيرة - اتسع انتشاره في مدينة الجزائر واستعمل في الكتابات الدينية والتذكارية. -استحكم وبلغ رتبة عالية من الإتقان خاصة في تلمسان الزيانية.

[1]- فطيمة مطهري، الخط المغربي تاريخه وأصنافه، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، ص5.

3-3-قراءة وثيقة أمكتوبة بالخط المغربي

إليك هذا النص: من كتاب وشائح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب لقدور بن رويلة (ت 1855)

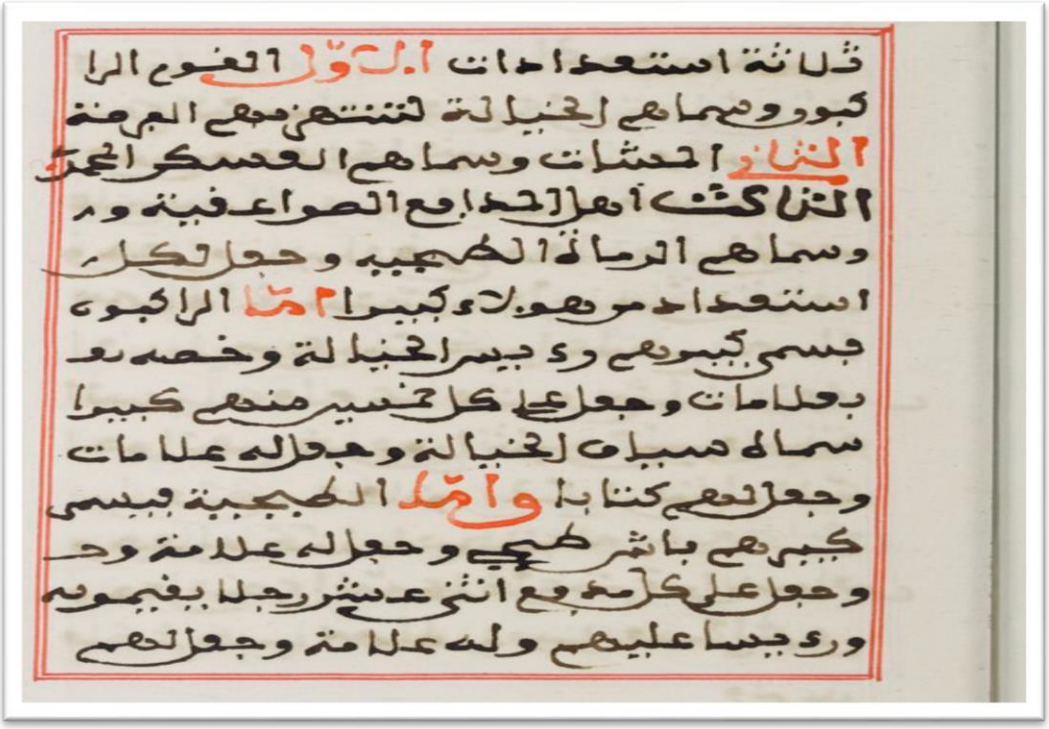

إعادة الكتابة:

ثلاثة استعدادات، الأول القوم الراكبون وسماهم الخيالة، لتنتهي بهم الفرقة، الثاني المشاة وسماهم العسكر المحمدي، **الثالث** أهل المدافع الصواعقية وسماهم الرماة الطبجية وجعل لكل استعداد من هؤلاء كبيرا، أما الراكبون فيسمى كبيرهم رئيس الخيالة، وخصه بعلامات، وجعل على كل خمسين منهم كبيرا، سماه سياف الخيالة، وجعل له علامات، وجعل لهم كتابا، وأما الطبجية فيسمى كبيرهم باش طبجي وجعل له علامة وجعل على كل مدفع إثنى عشر رجلا يقيمونه ورئيسا عليهم وله علامة وجعل له.

إليك نموذجا أكثر تعقيدا:

رسالة من سكان بني ورثيلان يذكرون فيها بأصلهم وجدهم ورثلان ويشكون فيها من تضررهم من عملية التحديد والتقسيم.

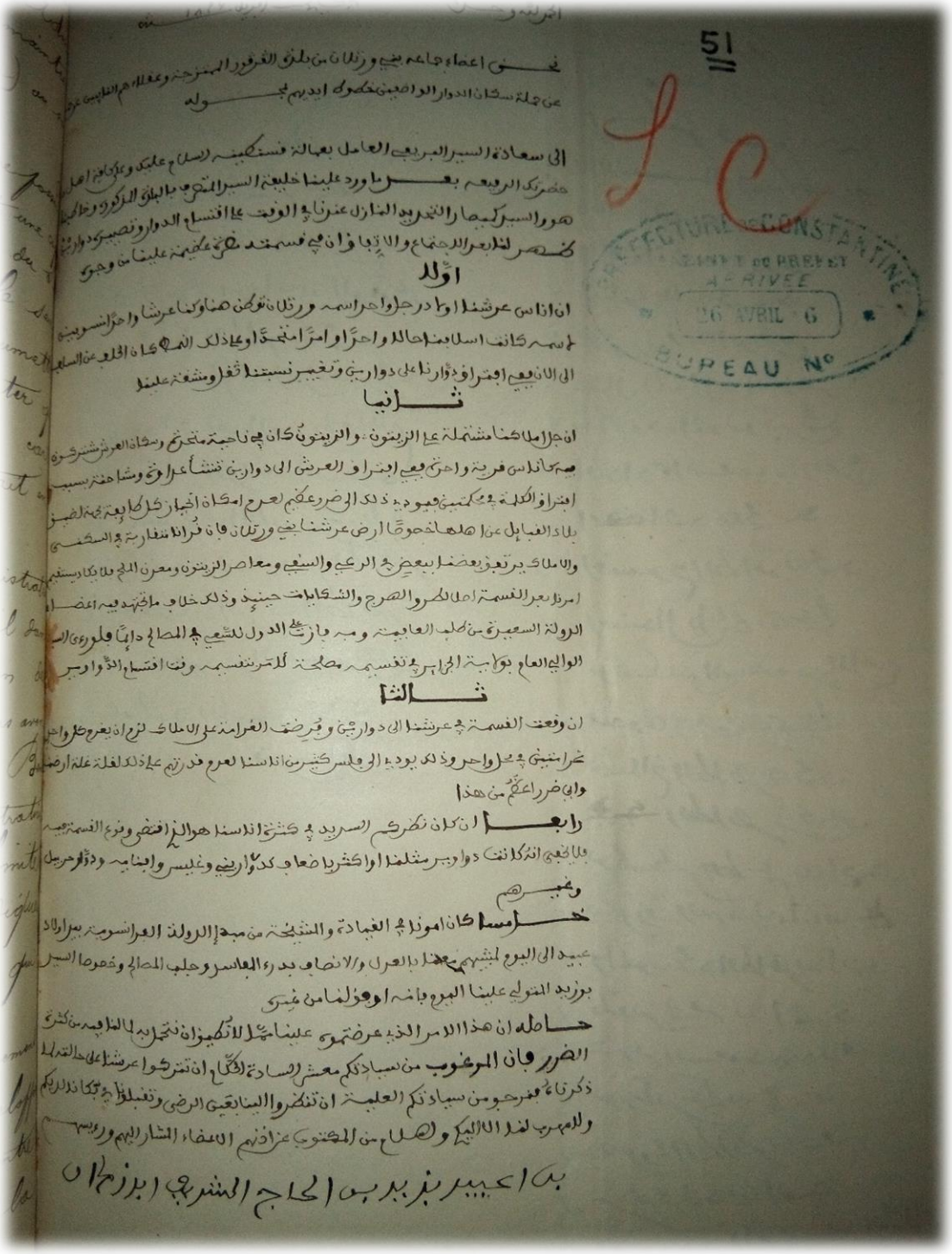

إعادة الكتابة:

الحمد لله وحده أفريل 1892

نحن أعضاء جماعة بني ورثلان من بلدة القرقور الممتزجة وعقلائهم النائبين عن جملة سكان الدوار الواضعين خطوط أيديهم بمجوله.

إلى سعادة السيد البريفي العامل بعمالة قسنطينة، السلام عليك وعلى كافة أهل حضرتك الرفيعة، بعدما ورد علينا خليفة السيد المتصرف بالبلدة المذكورة وخاطبنا هو والسيد كميصار التحديد النازل عندنا في الوقت على اقتسام الدوار وتصييره دوارين، ظهر لنا بعد الاجتماع والاتفاق في أن في قسمته مضرة عظيمة علينا من وجوه.

أولا: إن أناس عرشنا أولاد رجل واحد اسمه ورثلان توطن هنا، وكنا عرشا واحدا منسوبين لاسمه كانت اسلافنا حالا واحدا وأمرا متحدا وعلى ذلك النمط كان الخلف عن السلف إلى الآن، ففي افتراق دوارنا على دوارين تغيير نسبنا ثقل ومشقة علينا.

ثانيا: إن جل أملاكنا مشتملة على الزيتون، والزيتون كان في ناحية متحدة من العرش مشتركون فيه كأناس قرية واحدة ففي افتراق العرش إلى دوارين تنشأ عداوة ومشاحنة بسبب افتراق الكلمة في محكمتين، فيؤدي ذلك على ضرر عظيم، لعدم امكان انحياز كل طائفة بجهة لضيق بلاد القبائل عن أهلها، خصوصا أرض عرشنا بني ورثلان، فإن قرانا متقاربة في السكنى والاملاك يرتفق بعضنا ببعض في الرعي والسقي ومعاصر الزيتون ومعدن الملح، فلا يكاد يستقيم أمرنا بعد القسمة أصل الضر والهرج والشكايات حينئذ، وذلك خلاف ما يجتهد فيه أعضاء الدولة السعيدة من طلب العافية وبه فازت على الدول للسعي في المصالح دائما فلو رأى السيد الوالي العام بولاية الجزائر في تقسيمه مصلحة لأمر بتقسيمه وقت افتتاح الدواوير.

ثالثا: إن وقعت القسمة في عرشنا إلى دوارين وفرضت الغرامة على الأملاك لزم أن يغرم كل واحد غرامتين في غرامتين في محل واحد وذلك يؤدي إلى فلس كثير من أناس عرشنا لعدم قدرتهم على ذلك لقلة غلة أرضنا، وأي ضرر أعظم من هذا.

رابعا: إن كان نظركم السديد في كثرة أناسنا هو الذي اقتضى وقوع القسمة فيه، فلا يخفى أنه كانت دواوير مثلنا أو أكثر بأضعاف كدوار بني وغليس ودوار ... حربيل وغيرهم

خامسا: كان أمرنا في القيادة والمشيخة من مبدأ الدولة الفرانسوية بيد أولاد عبيد إلى اليوم لمشيهم معنا بالعدل والانصاف بدرء المفاسد وجلب المصالح وخصوصا السيد بوزيد المتولي علينا اليوم فإنه أرفق لنا من غيره.

حاصلة هذا الأمر الذي عرضتموه علينا مما لا نطيق أن نتحمل بد لما لنا فيه من كثرة **الضرر فإن المرغوب** من سيادتكم معشر السادة الحكام إن تتركوا عرشنا على حالته لما ذكرناه فنرجو من سيادتكم العلية أن تنظروا إلينا بعين الرضى وتقبلونا بكانا لديكم ولا مهرب لنا إلا إليكم والسلام من المكتوب عن إذنهم الأعضاء المشار إليهم ورئيسهم بن عبيد بزيد بن الحاج الشريف ابن زيدان.

نص شكاية قبيلة بني يعلى ممثلة في جماعتها من حرمانها من الغابات وما لحق بهم من ضرر من قبل حارس الغابات فروستي

4-دراسة نقدية لوثيقة أرشيفية حول القدس الشريف

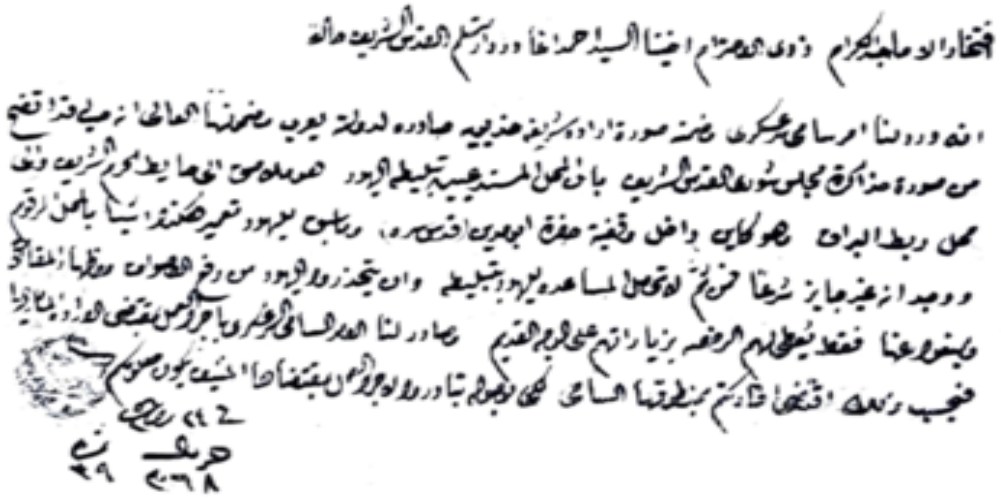

النص:

افتخار الأماجد الكرام ذوي الاحترام، أخينا السيد أحمد آغا دزدار متسلم القدس الشريف حالا: إنه ورد إلينا أمر سامي سر عسكري مضمنه صورة إرادة شريفة خديوية صادرة لدولته يعرب مضمونها العالي أنه حيث قد اتضح من صورة مذاكرة مجلس شورى القدس الشريف بأن المحل المستدعيين تبليطه اليهود هو ملاصق إلى حائط الحرم الشريف وإلى مح ربط البراق وهو كائن داخل وقفية حضرة أبو مدين (قدس سره)، وما سبق لليهود تعمير هكذا أشياء بالمحل المرقوم ووجد أنه غير جائز شرعا فمن ثم لا تحصل المساعدة لليهود بتبليطه وإن يتحذروا اليهود من رفع الأصوات وإظهار المقالات ويمنعوا عنها فقط يعطي لهم الرخصة بزيارتهم على الوجه القديم، وصادر لنا الأمر السامي السر عسكري بإجراء العمل بمقتضى الإرادة المشار

إليها ، فبحسب ذلك اقتضى إفادتكم بمنطوقها السامي لكي بوصوله تبادروا لإجراء العمل بمقتضاها المنيف يكون معلومكم في 24 ر1 سنة 256 محمد شريف.

وثيقة مكتوبة من قطعة من الورق الصكوكي القديم يبلغ طولها 27*14 وهي مكتوبة بالحبر الأسود الإسطنبولي موجهة من محمد شريف حكمدار بر الشام في عهد الحكومة المصرية إلى السيد أحمد آغا دزدار متسلم القدس الشريف حينئذ وهي مؤرخة في 24 ربيع الأول سنة 1256هـ/الموافق 27 ماي 1840م.

هل هي وثيقة أصلية أو مزورة؟

للإجابة على هذا السؤال لابد من تفحص هذه الوثيقة باستخدام النقد الخارجي والنقد الباطني

النقد الظاهري للوثيقة:

الورق هو من نوع الصكوكي يتفق من حيث شكله ومظهره وتركيبته الكيمياوية من الورق الذي تكتب به وثائق الحكومة المصرية، حيث نجد أوجه الشبه بين هذه الوثيقة وبين الوثائق المحفوظة بسراي عابدين ووثائق البيوتات الشامية والمصرية الكبيرة وغيرها.

الحبر: هو الحبر المستخدم في كتابة الوثائق المصرية وهو الحبر الإسطنبولي مؤلف كيمائيا من الكربون وبعض الصمغ والماء وقد استعمل في الكتابة قلم قصبي وهو ما كان من عادات النساخ والكتاب في تلك الفترة

المفردات المستخدمة: مثل التحية في بداية الوثيقة " افتخار الاماجد الكرام ذوي الاحترام وغيرها والأسلوب لا يدع مجالا للشك في صحته فهذه المفردات هي من كانت تستخدم في ذلك العهد.

الجهل باللغة العربية: فكتاب الدواوين في النص الأول من القرن التاسع عشر في مصر والشام والعراق كانوا يجهلون قواعد لغتهم ويكثرون في بعض الأحيان من استخدام المفردات الأعجمية عند الحاجة الى استخدامها، فمثلا يمكن أن نلاحظ أن الكتاب في الجزائر خلال العهد الاستعماري يعربون الكثير من الكلمات ويستخدمون حتى الدارجة فنجد مثلا كملة قوفرنور gouverneur، التي تعني الحاكم

وهي أدلة تدعم صحة الوثيقة.

النقد الباطني:

الشخصيات الواردة في الوثيقة: وردت في الوثيقة أسماء العديد من الشخصيات مثل محمد شريف باشا الذي أصدر الوثيقة وأحمد آغا دزدار الذي تسلم الوثيقة، وبالرجوع إلى المحفوظات والمصادر التاريخية، وبالمقارنة مع تاريخ كتابة الوثيقة، نجد ان فترة تأريخها تتناسب مع فترة حكم محمد شريف على الأقطار

نقديالشامية والقدس الشريف خصوصا، ويكمن الرجوع إلى سجلات الحالة المدنية أو المصادر الأخرى للتعريف بالشخصيات الواردة في الوثيقة

تم ذكر علاقة اليهود في بمحل حائط البراق، والموقف المؤسسات الإسلامية والحكومات المحلية من قضية وصول اليهود إلى حائط البراق، حيث كانت ترفض ذلك إلا بشروط ودفع المال، وهو ما أشار إليه القنصل الانجليزي فن الذي تولى القنصلية بالقدس ما بين (1845-1863) ما ملخصه: "يدفع الحاخام باشي إلى الأفندي الذي يجاور المبكى ثلاثمائة ليرة انجليزية بدل الإذن له ولليهود معه أن يصلوا هناك".

وما يزيد هذه الوثيقة أصالة وصحة، هو أنه توجد هناك وثيقة محفوظة في أرشيف سراي عابدين الملكية وهي شكوى شيخ المغاربة في القدس عام 1256 ه، وهو العام الذي أصدرت فيه هذه الوثيقة، وهي شكوى تتضمن الاعتراض على منح اليهود حق تلبيط الحائط وعدم الاكتفاء بالسماح لهم بزيارته

وبالتالي وبالنظر إلى نوع ورق الوثيقة والخط الذي كتبت به وأسلوب إنشاءها وعباراتها وتاريخها وألوب إنشائها، وبناء على ما ذكرته النصوص الأخرى التي وافقت مضمونها...فهذا لا يدع مجالا للشك وصحتها لا غبار عليها.